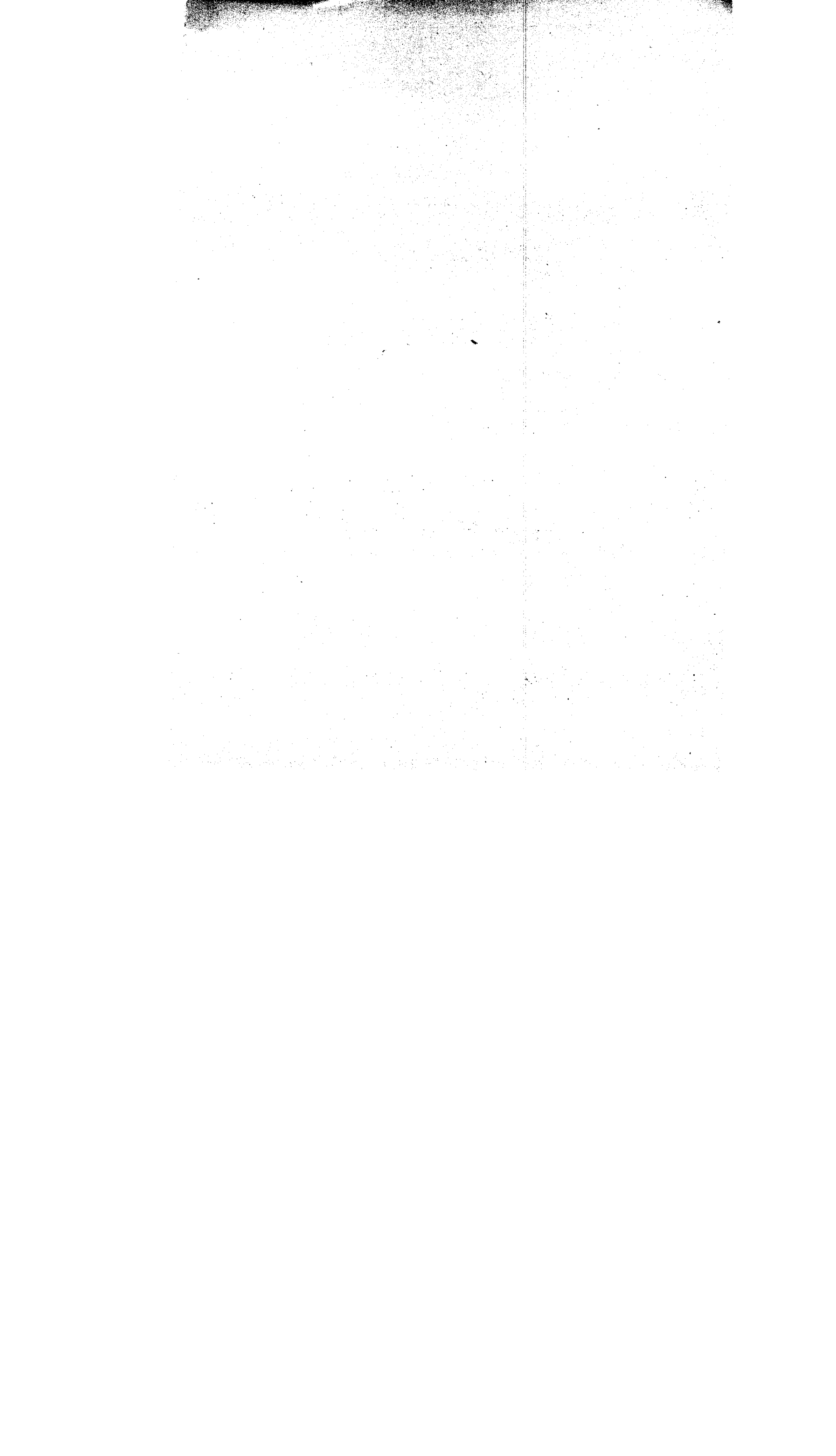
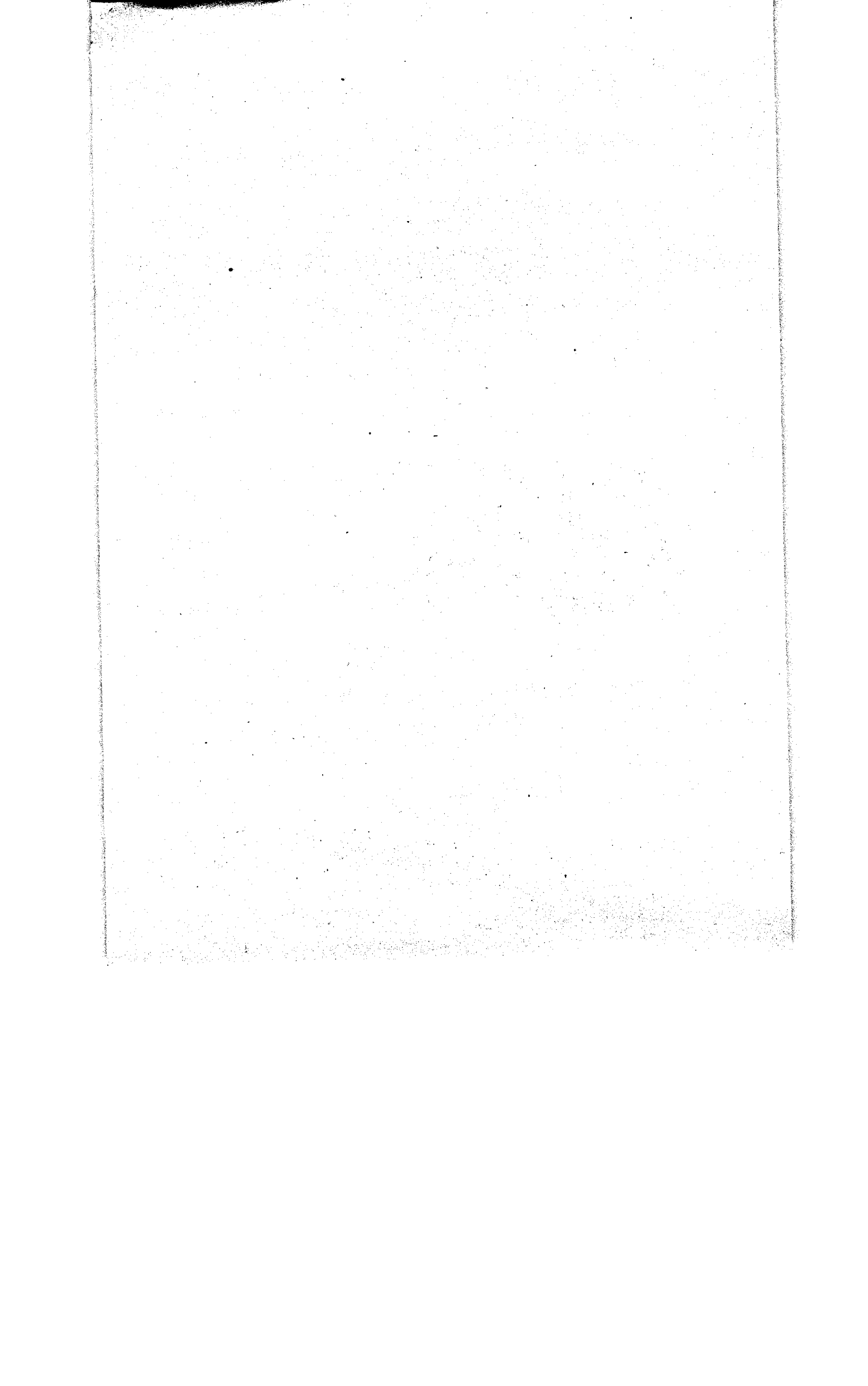
مقدمة في أدب الأطفال

د/ يسرى العزب



بسم الله الرحمن الرحيم



محتويات البحث

رقم الصفحة

أما قبل... ٧

الفصل الأول : أهداف أدب الأطفال ٩

الفصل الثانى : الآثار السيئة لأدب الأطفال الأجنبى......... ١٧

أولا : من ناحية الشكل............................... ١٩

ثانيا : من ناحية اللغة.................................. ٢١

ثالثا : من ناحية المضمون ٢٢

مثال تطبيقى.. ٢٤

الفصل الثالث : خصائص التراث وكيفية استلهامه........ ٢٧

أولا : الخصائص العامة.............................. ٢٧

ثانيا : الخصائص المتعلقة بأدب الأطفال ٣٠

١- العقيدة.................................. ٣٠

٢- الأنسنة.................................. ٣٢

٣- البطولة.................................. ٣٤

٤- الخوارق.................................. ٣٧

الفصل الرابع : شعر الأطفال.................................. ٣٩
الفصل الخامس : رسوم كتب الأطفال........................ ٤٣
أهمية رسوم الأطفال ٤٣
خطورة التقليد الأعمى........................ ٤٤
الاستفادة من الأساليب الحديثة.................. ٤٦
خصائص رسوم الأطفال ٤٧
الفصل السادس : محددات استلهام التراث فى أدب الأطفال ٤٩
الخاتمة.................................. ٥٢
نتائج البحث.............................. ٥٢
خطوات على الطريق الطويل.............. ٥٣
المطلوب.................................. ٥٦

أمـــا قبـــل

فهذا اجتهاد أول أقدمه حول (أدب الأطفال) بعد قراءات كثيرة فى هذا الفرع الجديد من أدبنا العربى الحديث ، تعرفت خلالها علي أفكار كثيرة بعضها صحيح وبعضها بعيد عن الصحة ، وكانت معايشتي للأطفال ومتابعتي لما يحبون أن يقرءوا من كتب ومجلات هي المقياس الأول الذى وجه هذه الدراسة من بدايتها الى نهايتها .

هى إذن خطوة أولي نقف على مشارف البعد الأول فى هذا الموضوع الهام وسوف يليها - إن شاء الله - خطوة تاليه أرى لها نفس الأهمية إن لم تزد ، وهى أدب الأطفال الذى يكتبون بأنفسهم ، يضعون فيه أفكارهم ويترجمون رؤاهم وتصوراتهم ويحققون - الى مدى بعيد - أحلامهم .

وأرجو أن أكون بهذا الجزء / الخطوة قد وضعت - فحسب - نقطا على حروف كانت في حاجة إليها لكي تبين دلالتها ، آملا أن يجد فيه أبنائي الطلاب متعه تجذبهم إلي حب الأطفال أولا وتشدهم إلى ما يكتب لهم ثانيا.

وبالله التوفيق ،،،،

دكتور / يسرى العزب

الجيزة / أكتوبر ١٩٩٧

الفصل الأول

أهداف أدب الأطفال

لأدب الأطفال دور خطير في بناء الأجيال الجديدة .. فما يكتسبه الطفل فى سنواته الأولي من معلومات وقيم وعادات واتجاهات يؤثر فى تكوين شخصيته تأثيرا كبيرا لذلك فان الكتابة للأطفال تهدف إلى :

- تنمية القيم والمعلومات الدينية .
- المساعدة فى تكوين الضمير .
- تنمية الاعتزاز بالوطن ، والقيام بخدمته .
- تنمية العلاقات الاجتماعية الجيدة .
- تنمية معلومات الطفل عن وطنه ومجتمعه .
- تعزيز الاتجاهات الأصيلة .
- تنمية معلومات الطفل عن الطبيعة والعالم الخارجي .
- تنمية ثقة الطفل بنفسه .
- تعزيز الإيمان بالحرية واحترام الرأي المعارض .
- تعزيز الاتجاهات الإيجابية نحو التعاون ، والمشاركة فى نشاط الجماعة .
- تنمية الخيال والقدرة على الابتكار .

- إثراء لغة الطفل ، بتزويده بالمفردات والتراكيب والعبارات الجديدة .
- تعويد الطفل على الدقة فى التفكير .
- مساعدة الطفل على الفهم والتفسير للسلوك الإنساني .
- إشباع الميل نحو الشعور بالأمن والحماية .
- تنمية القدرة على النقد والتقويم لدى الطفل .
- إشباع ميل الطفل إلى المغامرة .
- تنمية ذوق الطفل وحسه الفنى .
- تقديم أمثلة لحسن التصرف والشجاعة .
- المساهمة فى تكوين اتجاهات ايجابيه ضد التعصب بمختلف أنواعه .
- المساهمة فى تكوين اتجاهات سليمة ضد الخداع .. والجريمة وما يتصل بها .
- تشجيع الطفل على الاعتماد على جهده وتقدير جهود الغير .
- الإمتاع والتسلية .
- الاستمتاع بمرح الطفولة وانطلاقها .

د/ كافية رمضان : مضمون الكتب الصادرة للأطفال - كتب الأطفال فى الدول العربية والنامية ص١١٤ .

أما " أحمد نجيب " (١) فقد أجمل أهداف الكتابة للطفل فى تسعة مجالات رئيسية ، هى :

١- **النواحى الثقافية :**

يقدم المعلومات العامة ، والحقائق المختلفة عن الناس والحياة والمجتمع والبيئات المختلفة . ويقدم الأفكار التى تربط الأطفال بالعصر والتطورات العلمية الحديثة ، ويحقق النمو اللغوى للأطفال وما الى ذلك.

٢- **النواحى الخلقية :**

يبصر الطفل بالقيم الخلقية الفاضلة ، وينمى إعجابه وتقديره وحبه للخصائص الطيبة ونفوره من الصفات المذمومة وجوانب الانحراف الخلقى .

٣- **النواحى الروحية :**

يحقق التوازن بين الاتجاهات المادية السائدة فى العصر الحديث وبين القيم الدينية والروحية التى لا يستطيع الإنسان أن يحقق السعادة الحقيقية بدونها.

---

(١) أحمد نجيب : المضمون فى كتب الأطفال ص ٤٥ وما بعدها (بتصرف) .

٤- النواحى الاجتماعية :

يعرف الطفل بمجتمعه ، ومقومات هذا المجتمع وأهدافه ومؤسساته وما يجب أن يسود فيه من قيم وصفات اجتماعية .

وهذا يكشف للطفل عن جوانب الحياة الاجتماعية ، فيساعدة على الاندماج فى المجتمع والتجاوب مع أفراده .

٥- النواحى القومية :

يعرف الطفل أنه عربى فى وطنه الصغير وأن وطنه جزء من الوطن العربى الكبير الذى تربط القومية العربية بين أجزائه ، وتدعم أواصره وأن له لغة واحدة ودينا واحدا وتاريخا واحدا وتراثا وموقعا جغرافيا متصلا يمتد من المحيط الى الخليج فى مكان حيوى من العالم ، وأن هذا الوطن الكبير يملك من إمكانات الحياة ومقوماتها وثرواتها الشئ الكثير ، وأنه منبع حضارة الجنس البشرى منذ أقدم العصور ، وكيف أن حضارة العرب الزاهرة هى التى كانت نواة الحضارة الأوربية بعد ذلك ، وكيف أن العرب يتطلعون - بما لهم من آمال وإمكانيات - إلى احتلال مكانهم المرموق فى عالم الغد .

٦- النواحى العقلية :

يتيح للطفل - من خلال الإنتاج الأدبي المناسب والمتفق مع أسلوبه فى التفكير فرصا طيبة لنشاط عقلى مثمر فى مجالات التخيل والتذكر وتركيزالانتباه والربط بين الحوادث وفهم الأفكار والحكم على الأمور وحسن التعليل والاستنتاج .. وما إلى ذلك مما يساعد على نمو هذه العمليات العقلية وتطورها من خلال تقديم مواقف مناسبة تساعد الطفل على نمو هذه العمليات العقلية وتطورها من خلال تقديم مواقف مناسبة تساعد الطفل على التفكير وأنماط للتصرف السليم ، ولأسلوب التفكير العلمى والعقلى المنظم ، وكيف يستطيع الإنسان أن يتصرف فى مختلف المواقف والمشكلات .

٧- النواحي الجمالية :

يقدم المعانى والأخيلة الجميلة التى تستهوى الأطفال ، والألوان الواقعية التى تصور جوانب الحياة والوجود ، والأساليب الأدبية البديعة التى يتمثل فيها جمال اللغة ، والرسوم الفنية التى تصاحب الإنتاج الأدبى المطبوع .

بالإضافة إلى تقديم المعلومات الفنية التى تثرى حصيلة الطفل عن الفن والفنانين وأعمالهم ، وتقديم القيم ، والاتجاهات التى تدعو إلى تقدير الجمال والذوق السليم .. وما إلى ذلك .

٨ - النواحى الترويحية :

يكون وسيلة شائقة ومفيدة لشغل أوقات الفراغ ، وتسلية محببة تجلب المسرة والمتعة إلى نفوس الأطفال .

٩ - نواحي بناء الشخصية :

يعمل على تكوين المعايير والقيم والعادات والاتجاهات الصحيحة لدى الأطفال من خلال الانطباعات السليمة التى يخرجون بها من المضمون الجيد ، وبهذا يساعد على تكوين الضمير أو الرقيب النفسى بصورة مرضية . مع تقوية جانب الإرادة فى شخصيات الأطفال بطريقة متزنة تساعدهم على التوفيق بين الرغبات الفطرية ، والغريزية من ناحية ، وبين الظروف الواقعية التى يحيون فيها من جهة أخرى .
هذا بالإضافة إلى خلق مواقف معينة تهدف إلى تبصير الأطفال - بطريقة غير مباشرة - بأنماط من السلوك ونماذج من التصرف يحتاجون إليها فى مراحل نموهم المختلفة .

واقع أدب الأطفال العربى :

والآن يحق لنا أن نتساءل عن الكتب والمجلات التى تقع تحت أيدي أطفالنا ، وعن مدى تحقيقها لأهداف الكتابة للأطفال كما عرضناها .

وهى - فى مجموعهـا - لا تخرج عن كونهـا مترجمـة أو مقتبسـة إلـى جانب أعمال قليلة محليـة ، بل إن هذا القسم الأخير يغلب عليه تقليد النمط الغربى فى الأفكار والاتجاهـات ، ومسـايرته فـى الأسـلوب وطريقـة العرض .

وإذا كـانت هـذه الكتـب والمجـلات تسـتطيع تحقيـق .. الأهـداف العقليـة والجماليـة ، الترويحيـة لـلأدب الطفـل فانـه لا يمكنهـا أن تحقـق الاهـداف الروحية والقومية والخلقية والاجتماعية واللغوية .

فهل ننتظر من الشرق الملحد أن يغرس الإيمان فى نفوس أطفالنا ؟!!
أم ننتظر من الغرب الانتهازي أن يربيهم على الأخلاق الحميدة ؟!!
هل ننتظر من الشرق الشيوعى أن يبصرهم بقوميتهم وتاريخ أمتهم ؟!!
أم ننتظر من الغرب الإباحي أن يعودهم الفضيلة ؟
وكيف يتسنى لأعمال نبتت فى بيئة غير بيئتنا ، وظروف غير ظروفنا أن تربط أطفالنا ببيئتهم وتساعدهم على الاندماج فى مجتمعهم ؟!
إننا بحاجة إلى أدب يساهم فى بناء شخصية الطفل من كافة النواحى أملا فى مستقبل أفضل ، ليكون فردا فاعلا وإيجابيا وقادرا علـى خدمـة وطنـه بما عليه من إيجابية ومعرفة وعلم وثقة بالنفس .

إن ما يقدم الآن للأطفال يشوه المفاهيم الصحيحة والقيم الجليلة ، ويسهم فى خلق شخصيات سلبية اتكالية ، منفصمة الصلـة بمجتمعهـا وتراثهـا ، جاهلة بدينها وتاريخها ، غافلة عن آمال وطنها ومستقبلها .

الفصل الثانى
الآثار السيئة لأدب الأطفال الأجنبي

تواجه بلادنا أزمات ومشكلات ومصاعب فى شتى نواحى الحياة .
" وهى فى مجال كتب الأطفال تعانى ما يمكن أن نطلق عليه مجاعة فإن ما تنتجه منها لا يكاد يسد الرمق ، وما تستورده يزيد الأطفال شعورا بالحاجة الماسة إلى الزاد العقلى "(١).
ولما كان الطفل هو صانع المستقبل ، والكتاب هو صانع الطفل فنحن أمام قضية بالغة الخطورة والأهمية ، فذلك يعنى استمرار سيطرة الدول المتقدمة على بلادنا فى المستقبل القريب والبعيد من خلال تفوق أبنائها على أبنائنا ، والسؤال الذى نطرحه فى استنكار : لماذا تتجه الدول النامية إلى الدول المتقدمة من أجل كتب الأطفال ؟!
لقد استطاعت الدول المتقدمة منذ الثورة الصناعية أن تصنع حضارة رفيعة المستوى ، واستطاعت استخدام تكنولوجيا متفوقة زادت من

---

(١) عبد التواب يوسف : كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر ص١٦

إنتاجها وخفضت تكاليفه فأصبحت مشكلتها هى أن تجد سوقا لتصريف هذا الإنتاج الكبير . فاتجهت إلى الدول النامية تتسلط عليها سياسيا وأقتصاديا وتخطف أبصارها بإعلاناتها المبهرة وبريقها الأخاذ ، وتشدها بقوة حتى لا تجد لنفسها سبيلا للفكاك ، بل ترضى لنفسها هذا الأسر وتتقبل العارض بديلا عن العراقة والأصالة .

ولا تكتشف ذلك إلا بعد مرور وقت طويل تكون قد استمرأت خلاله الوضع ، واستراحت إليه ، واقتنعت بصعوبة التغيير .

ولسنا فى حاجة إلى القول أن هذا كله ينطبق على كتب ومجلات الأطفال وبرامجهم .

بل ان هناك تركيزا على الأطفال تمهيدا للسيطرة عليهم مستقبلا والتخطيط لذلك يتم بدقة ، ويجب أن ننتبه لهذا الخطر، وهو يبدو جليا واضحا فى مجلات الأطفال وكتبهم إذ تتدفق مطبوعات ميكى وتان تان فى شكل أنيق لتسد الطريق على الإنتاج المحلى، وتسهم - فى نفس الوقت - فى تغريب الأجيال الجديدة " (١) .

---

(١) عبد التواب يوسف : المرجع السابق ص ١٧ .

إن التجويد الذى صاحب الكتاب بوجه عام، وكتاب الطفل بوجه خاص فى الدول المتقدمة سواء من ناحية الطباعة أو التسويق لم يكن تجويدا عشوائيا، بل كان تجويدا مقصودا يخدم الأنظمة السياسية، والاجتماعية والعقائدية التى تسود هذه الدول المتقدمة .

" ولذلك لا يترك العمل فى الكتابة للأطفال فى تلك الدول لكتاب غير ممتازين، بل يعمل فى تأليف هذه الكتب كبار الموهوبين ويتضح ذلك من اهتمام أديب ومفكر كبير هو "مكسيم جوركى " بأدب الأطفال، وخطاباته لكبار كتاب العالم فى ذلك الحين لنشر سلسلة كاملة من كتب الأطفال عن عباقرة الإنسانية أمثال اديسون وبيتهوفن، وأخرى عن جرائم الاحتكار والرأسمالية " (١) .

ولاشك أن لأدب الأطفال المترجم والمقتبس آثاره السيئة على أطفالنا فى مختلف النواحى خاصة فيما يتعلق ببلورة ثقافتهم وتوجهاتهم المستقبلية وتحديد أطر شخصياتهم .

ومن أهم هذه الآثار ما يلى :

أولا : من ناحية الشكل :

١- عدد كبير من هذه الكتب والمجلات يتم ترجمته وطباعته وتغليفه فى الخارج، ويرد إلينا جاهزأ ولو نظرنا إلى الملامح لوجدناها غريبة عنا

(١) عبد البديع قمحاوى : تأثير كتب الأطفال بالدول المتقدمة فى الدول النامية – كتب الأطفال ومجلاتهم فى الدول المتقدمة .

وعن بيئتنا فالعيون زرقاء والشعر أشقر، والملابس غربية والحيوانات غير معروفة لأطفالنا، حتى الشوارع والمباني تختلف نهائيا عن شوارعنا وأبنيتنا، كل هذه يصدم الطفل فى بيئته ومجتمعه، ويجعله ينشأ غربيا عنها وغير منسجم معها .

٢- بعض الكتب تحتوى على صور مجسمة أو مزودة بأشياء إضافية ملتصقة بها (خصلة شعر - قطعة قماش - إطارات سيارة - خرز ... الخ)، مما يجعلها سريعة التلف ولا تتحمل عبث الأطفال .

٣- بعض الكتب تحتوى على صور فاضحة، لا تتفق مع قيمنا وأخلاقنا، ويجب ألا يطلع عليها الأطفال المغرمون بتقليد كل ما يشاهدونه *

٤- بعض الكتب يتفنن أصحابها فى إخراجها فى شكل أنيق فبعضها على شكل سلة زهور أو حقيبة أو حيوان أو نبات، وبعضها مجسم أو مزود بأشياء إضافية وبعضها مقترن " بشريط كاسيت " حتى يستمع الطفل إلى ما يقرأ، وبعضها على شكل صندوق يحتوى على أشياء كثيرة بجانب الكتاب .

وهذا الإخراج المبهر يجذب الطفل ويحببه في القراءة ولكنه باهظ التكاليف فهذه الكتب مرتفعة السعر وهى لا تناسب الأسرة العربية التى تعانى من قلة الدخل وكثرة الأبناء فى معظم أقطار الوطن العربى، وهى

---

* انظر ملحق الصور والرسوم صورة رقم ٥ ورقم ٦ .

أيضا تزرع الإحباط والأسى فى نفوس أطفالنا لعدم قدرتهم على شرائها والتمتع بها .

ثانيا من ناحية اللغة :

١- تحتوى هذه الكتب والمجلات على ألفاظ عامية أو قريبة إلى العامية مثل : عروسة النيل - روح المدرسة - البطة الشقية - سعاد وعروستها .

٢- تحتوى - أيضا - على ألفاظ أجنبية مكتوبة باللغة العربية مثل : ستوب - أتوماتيك - كوكتيل - فلاش - سوبرمان ... الخ .

٣- وجود مصطلحات أجنبية يمكن استبدالها، وتحل محلها مصطلحات عربية مثل : كمبيوتر - تليفزيون .... الخ .

٤- محافظة المترجمين على وجود أسماء الأشخاص والبلدان الأجنبية بالرغم من صعوبة لفظ هذه الأسماء بالنسبة للطفل، وعدم تداولها فى حياته اليومية .

بالإضافة الى أن بعض هذه الأسماء قد يكون لنطقها معنى سئ بالعربية، كما أنها ترفع مستوى انقرائية المادة المكتوبة .

ثالثا : من ناحية المضمون :

١- بعض الكتب تحمل أيدلوجيات وعقائد واتجاهات، ومفاهيم غريبة عن قيمنا وحضارتنا(١) والطفل - لقلة خبرته - يعتبر كل شئ مكتوب صحيحا .

٢- سيادة الشخصيات الأجنبية ونموها فى وجدان أطفالنا كمثل أعلى، حتى أننا لو سألنا أطفالنا عن ميكى وتان تان وروبن هود لتعرفوا على الشخصيات بسرعة وحدثونا عنها حديث المعايش لها والمتعرف على صفاتها وطباعها، بل انهم يقلدون هذه الشخصيات فى التصرف والسلوك .

٣- الجهل بتاريخ أمتنا العربية وجغرافيتها وثقافتها لأن الكتب المترجمة والمقتبسة لا تتناول هذه الجوانب حتى أن أطفالنا أصبحوا يعرفون عن الثورة الفرنسية أكثر مما يعرفون عن الثورة العرابية، ويعرفون عن تشرشل أكثر مما يعرفونه عن صلاح الدين الأيوبى .

---

(١) مثل قصة السمكة المقدسة، وقصة جوقة مدينة بريما .

٤- تنمية اتجاهات وسلوكيات اجتماعية وأخلاقية خاطئة، وتمجيد الصفات المذمومة كالسرقة(١) والخداع(٢)والاتكالية(٣) والتفرقة العنصرية(٤) .

٥- الآثار النفسية السيئة لقصص الرعب البوليسية التى تظهر المجتمع كأنه مؤلف من فريقين : أحدهما خير تدافع عنه الشرطة، والآخر شرير ليس له إلا ممارسة الجريمة .

وهي تنقل الأطفال الى عالم مشحون بالعنف والقتل والخديعة ولا يفهم الأطفال سببا لذلك، أو تكون أسبابه تافهة . ويجدون اللصوص والجواسيس والسفاحين ينعمون بحياة رغيدة، ويرتادون الفنادق الراقية ويأكلون الأطعمة الشهية .

٦- سخافة الموضوع فى كثير من القصص، أو تناولها لقضايا وموضوعات لا تهم الطفل (٥) .

---

(١) مثل قصص أرسين لوبين .

(٢) مثل قصة القط ذى الحذاء .

(٣) مثل قصص ميكى جيب .

(٤) مثل قصص تان تان .

(٥) مثل قصص الفيل بابار .

مثال تطبيقى :

أحد القصص المترجمة، والمطبوعة بألوان زاهية وإخراج جذاب تحكى قصة طفلة اسمها " يه " كانت لها سمكة كبيرة تربيها وتحبها، وكانت للطفلة " يه " زوجة أب قاسية تكرهها فتحايلت زوجة الأب حتى قتلت السمكة وأكلتها وأخفت عظامها فى حفرة فى أرض الحديقة .

وفى اليوم التالى عادت " يه " وذهبت الى بركة الماء فلم تجد السمكة فجلست تبكى وتبكى حتى نزل من السماء رجل ذو شعر مشوش يرتدى خرقا بالية، فربت على كتفها وخفف من ألمها ودموعها وقال : لا تبكى يا فتاتى، لقد قتلت زوجة أبيك السمكة ودفنت عظامها فى إحدى الحفر بالحديقة، فابحثي عن العظام واحمليها معك الى غرفتك، وان جميع رغباتك سوف تحقق عندما تتوسلين لهذه العظام .

ونفذت "يه" نصائح الرجل، ولم يمض وقت طويل حتى كانت تملك الذهب والمجوهرات والحرير .

وتستمر القصة حتى تصل بالفتاة الى أن تتزوج من الملك وتنتهى القصة قائلة :" وتزوج الملك من "يه" وفى عام زواجها الأول طلب الملك من عظام السمكة كثيرا من أحجار الزمرد والمجوهرات فكانت العظام تحقق له دائما رغباته وأمنياته فأخذ الملك العظام ودفنها بجوار البحر ووضع حولها اللآلئ وزين المكان برقائق الذهب .

وعندما أغار عليه جيش من أعدائه أسرع الملك الى حيث دفن عظام السمكة، فارتفعت مياه البحر وأغرقت جيش الأعداء" .
وينتقد "أحمد نجيب"(١) هذه القصة من جانبين، فيقول :
أولا : الصورة التى قدمتها القصة للرجل الطيب، أو الملاك الذى نزل من السماء أنه ذو شعر مشوش، يرتدى خرقا بالية . فلماذا يكون الخير مشوش ممزقا ؟!!

هل هذه هى الصورة التى نريد لها أن تستقر فى نفوس أطفالنا ؟
ثانيا : عندما أغار الأعداء على البلاد أسرع الملك وتوسل الى عظام السمكة، فارتفعت مياه البحر وأغرقت المغيرين وأنتصر الملك هكذا بلا جهد أو عمل، ولا كفاح من أصحاب البلدة وجيشها .

هل هذا الإيحاء السئ بالاتكال علي الخرافات في مقاومة الأعداء هو ما أن نريده أن يستقر فى نفوس أطفالنا فى عصر العلم والتكنولوجيا، وفى ظلال الإيمان الذى يدعو الأوطان إلى أن تعد لأعدائها ما تستطيع من قوة .

---

(١) أحمد نجيب : المضمون فى كتب الأطفال ص٥٣ .

ونضيف الى هاتين الملاحظتين ملاحظة أخرى تتعلق بالعقيدة ذلك أن طلب الذهب والحرير والنصر على الأعداء بالتوسل لعظام سمكة أو رفات إنسان أو حجر أو شجر إنما هو مظهر من مظاهر الوثنية التى جاء الإسلام ليحاربها ويقضى عليها . وتزين القبور مدعاة الى التقديس والشرك، وقد نهى الإسلام العظيم عن ذلك .

ومجمل القول هو أننا نعرف مدى تقدم الغرب، ونحس بالغيرة إزاءه، لكن ذلك يجب ألا يدفعنا الى إغراق أنفسنا بكل ماالديهم وبالذات للأطفال الذين نربيهم لزمان غير زماننا .

" لسنا ضد الثقافة الغربية، بل يجب أن نفتح لأبنائنا نافذة ليواكبوها ويتعرفون عليها .

لكننا ضد الغزو الثقافى، ونرفض أن تنطمس معالم ثقافتنا العربية وتراثنا الحضارى تحت هذا الكم الهائل من القصص الأجنبى . الاستهلاكى المتمثل فى الكرتون المطبوع بأناقة، وألوان زاهية"(١) .

---

(١) عبد التواب يوسف : مرجع سابق ص١٨ .

الفصل الثالث

خصائص التراث وكيفية استلهامه .

إن التراث الذى ندعو إليه ليس تراث أمة جاهلة، أو جماعة بدائية، ليس تراثًا مغلقا ولا متعصبا بل هو تراث رسالة خالدة وحضارة ضخمة، وأمة كبرى وهو تراث عالمى جمع بين العلم والإيمان ووصل الأرض بالسماء. ومن أهم خصائصه ما يلى(١) :

أولا : الخصائص العامة :

١- الإنسانية :

فهو وان كتب بالعربية وانطلق من المفاهيم والقيم الإسلامية تراث إنساني يهدف الى تحرير الإنسان، ويطالب له بالحقوق مثلما يطالبه بالواجبات، يحفظ له حريته المدنية كما يحفظ له حريته الدينية .

٢- الأخلاقية :

فهو تراث يؤمن بالقيم فى كل جوانبه فقها كان أو أدبا أو علما أو فنا أو عمارة أو حضارة ولا يؤمن بفصل الأخلاق عن العلم، ولا عن الفن، ولا عن السياسة، ولا عن الاقتصاد، ولا عن الحرب، فهو تراث يعبر عن رسالة هدفها أن تتم مكارم الأخلاق .

---

(١) د/ يوسف القرضاوى - مرجع سابق ص١٦ ، ١٧

٣- التكامل :

فهو يجمع بين أحكام الوحى الإلهي ونتائج العقل البشرى، فى ظله التقى العلم والإيمان، وامتزجت الدنيا بالدين واتصلت الشريعة بالحكمة .

ولم ينفصم قلب عن فكر، ولا روح عن مادة، ولا دين عن دولة، ولا أدب عن علم، ولا عقل عن نقل .

٤- التوازن :

فهو تراث وسط لأمة وسط، ولا يقف فى طرف ضد طرف، فهو ليس تراث المثاليين ضد الواقعيين، ولا الواقعيين ضد المثاليين، وليس تراث الروحيين وحدهم، ولا الماديين وحدهم انه تراث التوازن بين المثالية الفردية والجماعية، فهو فى أسسه وأصوله يمثل وسطية الإسلام .

٥- التنوع :

فهو تراث دينى ودنيوى، فقهى وصوفى، علمى وأدبى، فلسفى وتطبيقى، فنى وعمرانى، نجد فيه فقه الشافعى، ورواية النجارى، وتفسير الطبرى وكلام الأشعرى، ومعجم الخليل، ونحو سيبوية، وأدب الجاحظ، وشعر المتنبى، وفلسفة ابن رشد، وتصوف الغزالى، وطب ابن سينا، وفيزياء ابن الهيثم، وخط ابن مقلة، وتحليل ابن خلدون جنبا الى جنب .

٦- التسامح :

فهـو - وان كـان إسـلاميا، أنتجتـه العقـول الإسـلامية، بدوافـع إسلامية، على أرض إسلامية - يتسع علـى الأديـان، ويؤمـن بكـل الكتب التى أنزلها الله وبكل الرسل الذين بعثهـم اللـه، كمـا يؤمـن بـأن اختـلاف النـاس واقـع بإرادة اللـه وسيحكم بينهـم يـوم القيامـة فيمـا كـانوا فيـه يختلفون .

ولا غرو إن شاركت فيه فئـات مـن غير المسـلمين وسـعتهم دار الإسـلام وحضارة الإسلام .

٧- المرونة :

فهو- برغم جذوره الأخلاقية وأصوله الدينية - قادر علـى مواجهـة التطور، وفيه مـن الثراء والخصوبـة الداخليـة مـا يجعلـه صالحـا للنمـاء والتجدد الذاتى - جامعا بين الثبات على الأصول والغايات، والمرونة فـى الفروع والوسائل .

ثانيا : الخصائص المتعلقة بأدب الأطفال :

١ - العقيدة :

أدب الأطفال أقوى وسيلة لتكوين العقيدة الدينية فى نفوس الأطفال وأكثرها فاعلية، حتى ينشأ - منذ نعومة أظافره - مؤمنا بربه، عالما بدينه، مؤديا لمناسكه لأن ما يتعلمه الطفل وهو صغير ينطبع فى ذهنه ويمتزج بشخصيته ويشكل اتجاهاته .

وقد رأينا أن كتب الأطفال ومجلاتهم المترجمة، والمقتبسة تخلو تماما من هذا الجانب، لأن فاقد الشئ لا يعطيه، بل أنها فى كثير من الأحيان تحتوى على مضامين ومعتقدات لا تنسجم مع عقيدتنا وأخلاقنا .

ومن هنا يبرز دور أدب الأطفال المحلى الذى يستلهم التراث فى تقديم أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة وتبين أحكام الإسلام وشعائره، ويروى سيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام " والذين يعالجون العقيدة الدينية من خلال أدب الأطفال تواجههم مسئولية كبيرة معقدة، تحتاج الى دقه الفيلسوف، والى خيال الفنان، وإحساسه، حتى لا ينفر الطفل من الدين،

ولكن يتقبله بحب، ويرى فيه مصدرا لسعادة روحية يحس بها، وليس تقليدا مفروضا عليه من الأسرة والمجتمع" (١) .

وعند اختيار لون الأدب الذى يسهم فى هذا السبيل يجب أن نلاحظ عقلية الطفل ومدى إدراكه، لأن المعنويات لا تتضح فى ذهن الطفل فى المرحلة المبكرة، ولا يستطيع أن يفهم أو يعقل أو يتعرف على معنى كلمة الإله مثلا .

ويستطيع المهتم بأدب الأطفال أن يلفت نظر الطفل فى تلك المرحلة الى حسن التدبير ، وكمال النظام فى جسم الطفل نفسه ، وكيف يعمل فى نظام بديع، ودقيق، وكيف انعم الله عليه بنعمه الكلام، واللمس والنظر والشم والتفكير وما سخره له من حيوانات وجماد وطيور ونبات.

كما أن قصص الأنبياء- فى هذه المرحلة المبكرة - يمكن أن تكون عامل جذب وتشويق للطفل من جهة، وأدارة تبصير بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة من جهة أخرى .

---

(١) على الحديدى : "فى أدب الأطفال" ص١٧ .

٢- الأنسنة :

يولع الأطفال بالقصص التى تجرى علـى ألسنة الحيوانـات، وربمـا يعود ذلـك الـى السـهولة التـى يجدهـا الأطفـال فـى تقمـص أدوار الحيوانـات، وسعادتهم فى تكوين صداقـات مـع بعض الحيوانـات، أو احتـواء البعض الآخر .

وعلاقـة الطفـل الوجدانيـة بالحيوانـات أيسـر علـى الفهـم مـن علاقتـه بالإنسان، ولعل ذلك يرجع الى أن بعضها أصغر حجما من الراشـدين مـن بني البشر، "وثمة شواهد كثيرة تدل على قرب الحيوان من نفس الطفل ويبدو ذلك من ظهور الحيوانات فى أحـلام الطفـل، ومخاوفـه كمـا تعتـبر الحيوانات على المستوى الشعورى أصدقاء للأطفال وعلى أيـه حـال فـان الحيوانات مثيرات ذات أهمية كبيرة بالنسبة للأطفال .

وهم يجدون فى هذا اللون من القصص عالما جديدا وغريبا، لذا يحبونـه، ويربطـون بيـن سـلوك وصفـات أبطالـه، وبيـن سـلوك وصفـات أصدقائهم"(١).

---

(١) د/ هادى نعمان الهيتى : أدب الأطفال - فلسـفة فنونـه، وسـائطه" ص ١٤٨ .

فقصص الحيوانات يمكن أن تتناول موضوعات متعددة : علمية وأخلاقية، وفكاهية .

" ولقد كان كتاب (كليلة ودمنة) من أوائل وأهم الكتب التى (أنسنت) الحيوانات – أى حولت الحيوانات الى إنسان – حولته لإنسان ذى عقل وعاطفة، وصرف على نحو إنساني وجعلته بطلا للعديد من القصص والحكايات "(١) .

وخاصية الأنسنة تستهوى الأطفال، لأنها تدخل الطفل الى عالم لا معقول، يدرك أنه لا معقول، لكنه يقبله ويستظرفه، ويراه صورة عن العالم الذى يعيش فى ذهنه الصغير، العالم الذى تمحى فيه الفروق بين الإنسان والحيوان والجماد، وتتحول الكائنات إلى كائنات متساوية فى التفكير والعقل .

وللأنسنة جانبان :

الأول : شكلى : أى تحول الشكل الحيوانى الى شكل إنساني، أى اسباغ الصفات الشكلية الإنسانية على الحيوان (من ذلك جعل الحيوانات تسير على اثنين بدلا من أربع، وأرتداؤها ثياب البشر) .

الثانى : مضمونى : "أى استعارة الحيوان فى تصرف إنساني مع الإبقاء على صفته الحيوانية"(٢) .

---

(١) عادل أبو شنب : "بين خاتم سليمان السحرى وقصص الأطفال مجلة الدوحة – عدد يونية ١٩٨٤ – ص١١٤ .

(٢) عادل أبو شنب : المرجع السابق ص ١١٥

وفى هذا الجانب الأخير يتفوق تراثنا على أدب الأطفال الغربى الذى يجعل قصصه تجرى على ألسنة الحيوان بل إن تراثنا لم يقتصر على أنسنة الحيوان، بل تعداه الى الجماد، فالأزهار تتكلم، والنجوم تناجى، والأشجار تتصرف على نحو إنساني مدهش .

٣- البطولة :

لما كانت الحكايات التى تقدم الى الطفل فى كل مراحل نموه تتركز أساسا حول نموذج بطولى، فان ما يعنينا هو أن نرى كيف يمكن أن يكون ذلك امتدادا لذات الطفل نفسه .

فالطفل عندما يبلغ العامين من عمره نجد الحكاية تصاحب حركته اليومية مع أمه، فهى تؤلف له حكايات يكون هو بطلها بحيث يقوم هذا الطفل بتلك الأفعال التى يقوم بها هو فى حياته اليومية، ويرتكب أخطاءه نفسها، ومن الطريف أن الطفل يستمع لمثل هذه القصص، وهو يعي أن البطل هو ذاته والأخر فى مكان واحد، وهذه الخاصية هى سر الجاذبية فى قصص البطولة فى تراثنا الشعبى .

فالبطل فى تراثنا الشعبى لا يوصف، ولا تتحدد هويته إلا فى حدود الإطار الاستهلالى الذى يسمح للسامع أو للقارئ أن يعرف نقطة البداية، ثم يأخذ فى التعرف على صورة البطل تدريجيا مع استمرار السرد لا بوصفه

فردا ذا ملامح معينة، وله مشكلات محددة، بل بوصفة نمطا وذلك من خلال أفعاله التى تهدف الى تحقيق الشئ المعجز .

ومن خلال الشخوص التى تساومه ويساومها، وتقف فى طريقه ويهرب منها، وتؤذيه فينتصر عليها، ومن خلال الشخوص الخيرة التى تختبره فى البداية إن كان أهلا لأن يحصل على الأدوات السحرية التى تعينه فى الحصول على ما يرغب، أم لا، ومن خلال قدراته الخاصة، وإصراره على الوصول الى الشئ المعجز .

فالحكاية إذن لا تركز أحداثها حول البطل فى حد ذاته، بل تسردها وفقا لقانون التسلسل والتراكم من أجل الكشف عن طبيعة المغامرات نفسها .

ومن الملاحظ أن هذه المغامرات تتم فى عالم المتناقضات فيه المعلوم والمجهول، والخير والشر، والظلمة والنور والإنساني والشيطانى، والفقر والغنى ومع نهاية رحلة البطل تتوارى المتناقضات تدريجيا، حتى لا يبقى - فى النهاية - سوى وجه واحد يشيع فيه الانتصار والإشراق والجمال .

ورحلة البطل هى رحلة الخروج والعودة تبدأ من مكان معلوم هو نقطة البداية (بداية حياة الطفل فى كنف من يرعاه) ولا يلبث أن ينمو وعى

الطفل، فيخرج مدفوعا بحركة نمو هذا الوعى، يخرج من مرحلة الى أخرى بحركة لا شعورية (يعبر عنها بجهل البطل بخط سيره فى بداية الأمر) .

ومع ذلك فان البطل يصر على الخروج، ولا يلبث أن يتكشف له الطريق بكل ما فيه من خير وشر (أى بكل ما فى نفس الطفل من قوة تدفعه الى الأمام وأخرى تشده الى الخلف) .

" ومرة أخرى ينتصر البطل، وما تلك الأدوات السحرية التى تساعد البطل فى الحصول على مأربه سوى القوة الخفية داخل النفس (نفس الطفل) والتى تدفعه الى تحقيق الشئ المعجز .

حتى إذا ما استطاع البطل فى النهاية أن يلغى كل المتناقضات وأن يقضى على الشر ويظفر بمأربه الذى رحل من أجله عاد الى نقطة التوازن الأولى، ولكن بعد أن يكون قد كبر ووعى وانتصر على المعوقات"(١) .

---

(١) د/ نبيلة ابراهيم : "البطل والبطولة فى قصص الأطفال" - كتب الأطفال فى الدول العربية والنامية - ص ٤٥ .

٤- الخوارق :

صورة الطفل فى المرآة تستثيره، لأنها خارج ذاته وقد نجد الطفل يمد يده للامساك بها .

ولهذا فهو يشعر بالفرح والاستثارة عندما يدرك أن ذاته تنعكس فى واقع ولا واقع فى الوقت نفسه، وهذا الواقع واللاواقع هو الذى يقدمه الأدب الخيالى للطفل لأنه يعكس نشاط الطفل الداخلى، ويظل فى الوقت نفسه بعيدا - شكلا - عن الواقع .

" وفى الفترة من الرابعة حتى الثامنة نجد الطفل يعيش فترة أكثر نشاطا داخليا وخارجيا، ففى هذه الفترة يكون الطفل أكثر إدراكا للمتشابهات دون أن يكون واعيا للاختلافات وهو يستوعب الشئ فى صفاته الشاملة دون الدخول فى التفاصيل لأن مشاعره الداخلية تغنيه عن ذلك، وتمده بطاقة خيالية أروع من تلك التفاصيل المحددة، وهى لا يستطيع أن يعيش فى الجزئية ويفكر فى ربطها بغيرها، بل يحب أن يعيش الحركة السريعة التى توصل الى النتيجة .

وكل هذا يرجع الى أن الطفل فى هذه السن يغيب عنه منطق التفكير والتجريد والربط(١) .

---

(١) د/ نبيلة ابراهيم : "المرجع السابق" ص٤٦ .

ولهذا فان النمط القصصى الذى تتفق رسائله مع حركة الطفل النفسية فى هذه المرحلة هو الخوارق (أى القصص التى تنطوى على خاصية الفعل الخارق الذى يتجاوز قدرة البشر) .

وما اكثر القصص -فى تراثنا- التي تعتمد على الخاتم السحرى الذى يخفى الأجسام، أو على بساط الريح الذى ينقل الناس لمسافات طويلة فى لمح البصر، أوعلى المرآة التى تغير الوجوة والأشكال أو على المكحلة التى تصيب بالعمى أو على الكلمة الرمزية التي تشفى العليل أو تنطق الأبكم أو تفتح الأبواب أو على سحر الساحرات، وخوارق الجان، وغيرها.

بل إن كثيرا من هذه القصص الخرافية تشهد لتراثنا بسبقه الحضارة الغربية فيما يعرف بأدب الخيال العلمى فكأن المؤلف المجهول الذى ابتكر بساط الريح يبشر بظهور الطائرات فى زمن لم يعرف غير الدواب .

وكان مؤلف قصة "على بابا" يبشر بظهور الأجهزة التى تدار " بالريموت كنترول" وأجهزة الكمبيوتر وإننا نريد أن نلفت الأنظار الى ما يمكن أن يكون واحدا من أهم ينابيع قصص الخوارق، بل وواحدا من أهم ينابيع أدب الخيال العلمى إذا ما تم تهذيبه بما يتفق وروح العصر الحاضر .

الفصل الرابع

شعـرالأطفـــال

الأطفال ميالون الى الإيقاع، فالطفل منذ أيامه الأولى يكف عن البكاء ويهدأ، وقد يستسلم للنـوم العميق حين تـأخذ الأم فـى الربت علـى قفـاه برقة، أو حين تهز بمهده ذات اليمين وذات الشمال في إيقاعات متكـررة والشعر أساس الايقاع وعماد النغم، وهو يمد التجربة بأبعاد وراء حدود الممكن ودنيا العقل، لذلك فهو يرضى عواطف السامع أو القـارئ وفكـره ويستثيره بما يتضمنه من صـور حسـية، وانطباعـات فنيـة، واسـتجابات عاطفية، كما أن تربية الـذوق الأدبـى لـدى الأطفـال تحتم علينـا أن نعقد الصلة بينهم وبين الشعر .

ولعله من نافلة القول أن نقرر أن أدب الأطفال المترجم والمقتبـس يفتقـر الى هذا الجانب، وأن إنتاجنا المحلى فى مجال شعر الأطفال لا يزال قليـلا من ناحية الكم، وهزيلا من ناحية الكيف .

" فليس مهما – كما يقول الحديدى(١) – أن نقدم للأطفال شعرا أى شعر، ولكن المهم أن نجعلهم يحسون به، ويتذوقونه ويشعرون حين يقرأونه، أو يسمعونه أنهم يقرأون أو يسمعون شعرا، فان الشعر ليس هو الوردة، ولا منظرها ولا رائحتها، ولكنه الشعور برائحة الوردة وجمالها .

ويتحتم على شعر الأطفال لكى يكون شعرا ناجحا أن تكون لغته شاعرية، وأن يكون موضوعه ذا هدف ومغزى للأطفال فالتجارب الشعورية والعاطفية لدى الصغار مماثلة لتجارب الكبار ولا تختلف إلا فى مثيراتها وحوافزها .
والأطفال يتوقون الى إدراك هذه التجارب، ويحقق لهم الشعر ذلك، فمجاله يشمل الأحاسيس والعواطف والتجارب وهو يقويها ويعمقها .

يرى هادى نعمان (٢) أن كتابة شعر جيد للأطفال تقتضى ما يلى :

أولا : استخدام الكلمات التى يتسع لها قاموس الأطفال اللغوى والادراكى، وأن تكون ذات انسجام خاص .

---

(١) د/ على الحديدى – مرجع سابق – ص١٦ ، ١٧ .

(٢) د/ هادى نعمان الهيتى : ٢١٥ .

ثانيا : تجانس اللفظ مع المعنى، أى أن يكون اللفظ رقيقا فى المواقف الرقيقة، قويا فى المواقف القوية، بعيدا عن الحشو المخل والقصور الذى لا يفى بالمعنى .

ثالثا : أن يطفح شعر الأطفال بالإيقاع والموسيقى، اللذين يوحيان بمعان تتجاوز المعنى الذى تدل عليه الألفاظ .

رابعا : أن يحمل قيما وأفكارا تمد الأطفال بالتجارب والخبرات وتجعلهم أكثر إحساسا بالحياة، وأن تكون تلك الأفكار واضحة يستطيع الطفل أن يدركها .

خامسا : أن يشيع الخيال فى شعر الأطفال، لأن أبرز ما يميز المعانى فى الشعر أنها تنتقل بالأطفال الى أفاق رحيبة .

سادسا : أن يكون شعر الأطفال الصغار مرتبطا بحواس الطفل والخيالات المستندة الى تلك الحواس .

سابعا : ألا يتسع شعر الأطفال للعواطف والانفعالات الحادة، كالحزن والقلق واليأس والحب المشبوب وما الى ذلك .

ثامنـــا : أن تتوفر فيه الجاذبية التى تدعو الأطفال الى التعاطف مع إيقاعاته وأفكاره، وما ينطوى عليه من انفعالات، من خلال الحيوية التى يضيفها الشاعر، والصور الحسية والذهنية التى يرسمها، والصيغ الإنشائية التى يدخلها فتجعل الطفل أكثر انشدادا .

تاسعا : أن تكون لغة شعر الأطفال لغة عربية فصيحة بسيطة وأن يتلاءم شعر الأطفال شكلا ومضمونا مع مستويات نمو الأطفال العقلى والأدبى، والعاطفى والاجتماعى، لأن لكل مرحلة من مراحل الطفولة ما يناسبها من الشعر .

****

الفصل الخامس
رسوم كتب الأطفال

أهمية رسوم كتب الأطفال :

للرسام دور هام فى كتب الأطفال، فأعماله بجانب دورها الجمالى فى تزيين الكتاب، والتشويق للأحداث، والتعبير عن المعانى والأحاسيس فى ما يدور من مواقف وإبراز أشكال الشخصيات، وطرز الملابس، والجو العام الذى تدور فيه الأحداث، بجانب هذا كله، للرسوم فى كتب الأطفال دور فى تنمية خيال الطفل، وزيادة قدراته على التصوير .

لذا يجب على رسام كتب الأطفال أن يحترم فى عملة قدرات الطفل العالية على التخيل، وأن يسعى لأن تكون أعماله وسيلة لإطلاق قدرات التخيل عند الطفل، وأن تكون أعماله مفاتيح لآفاق جديدة من التصور والخيال بالإضافة الى الأمانة فى التعبير عن البيئة، فى ملامح الأشخاص وطرزهم فى الملابس التى يجب أن تتناسب مع أعمالهم وشخصياتهم، والفتره التاريخية التى ترويها أحداث القصة .

فلهذا كله أهمية كبيرة للطفل، لأنه بجانب ما يستفيده من معان وقيم فى النص، تقدم الرسوم والأشكال له معلومات عن بيئة جديدة عليه، أو تزيد من عمق معرفته بأشكال ومظاهر بيئته وتراثها، وتلفت النظر للجماليات الموجودة فى واقعة الذى يعايشه فى كل يوم .

" وبقدر ما نجرم الأدب الذى يحط من قيمة الفضائل، أو المحرض على الجريمة، أو الموصى بفكرة خاطئة عن الحياة، فإننا يجب أن نستنكر الجريمة التى ترتكب ضد طفل من الأطفال بعرض رسوم رديئة المستوى غير مدروسة جيدا من النواحى التشكيلية على أنظاره"(١) .

خطورة التقليد الأعمى :

إن ما حققته الأساليب الغربية من نجاح فى رسم كتب الأطفال قد أدت الى أن يقلدها الفنانون فى البلدان النامية تقليدا أعمى من ناحية الأسلوب، وطريقة المعالجة وبالرغم من الفروق الواضحة بين التركيب الثقافى، والفرق الحضارى والاجتماعى، واختلاف القيم .

---

(١) سعيد المسيرى : "الافادة من التراث والفنون الشعبية فى رسوم كتب الأطفال " كتب الأطفال فى الدول العربية والنامية - ص ٢٧٥ .

والواقع أن هذا التأثير يمثل خطورة على شخصية الطفل لأن استعارة الأساليب الفنية الغربية تتجاوز الاتشاح بزى أجنبى الى تسلل قيم وعلاقات ونماذج لا تلائم طبيعة وشخصية وثقافة وتراث المجتمع الذى يعيش فيه مما يرسب شعورا بالنقص والعجز أمام هذا الغزو الثقافى الوافد .

وهذا تاريخ الحضارات يرينا بجلاء أن تدهور الدول والمجتمعات وانحلالها يبدأ - أول ما يبدأ - بتشكيك أبنائها والمنتمين إليها فى تراثهم وقيمهم الحضارية، والعزوف عنها، وازدرائها ." ولما كان التراث الحضارى هو جوهر الحضارة وجماع قيمها ومثلها العليا وحصيلة تراكم الخبرات الاجتماعية عبر تطورها التاريخى والمتفاعل مع الحاضر والموجه له، فان التشكيك فيه، ونبذه معناه فقدان المجتمعات البشرية لشخصيتها القومية المميزة لها وانعدام التماسك الاجتماعى فيها، فتفقد الثقة بالنفس ويهين عزمها فى التصدى لما يجابهها من أخطار داخلية وخارجية وتفقد ملكة الإبداع، وتستسلم للغزو الحضارى والسياسى وتنجرف الى اتخاذ القيم الحضارية الوافدة مثلا أعلى لها " (١) .

---

(١) سعيد المسيرى : المرجع السابق - ص٤٧٧ .

الاستفادة من الأساليب الحديثة :

من الطبيعى أن يكون الفنان على صله بما يجد حوله من اتجاهات فنية حديثة، وأساليب جديدة فى التناول والمعالجة لكن يجب عليه أن يتفهمها بوعى ولظروف وثقافة وفكر المجتمعات التى ظهرت فيها .

كذلك عليه دراسة فنون الحضارات الكبيرة التى مرت بمجتمعه وأساليبها، والاستفادة بما فيها من خصائص فنية متميزة تتناسب مع روح العصر، والاستفادة فى الفنون الشعبية من قيم فنية متوارثة عبر الأزمان البعيدة، ومتصلة أكبر اتصال بوجدان أفراد مجتمعة .

فالتراث الشعبى ليس مجرد ركيزة تدل على أصول أو مراحل تاريخية، أو تكشف عن رواسب لم تعدلها وظيفة تلائم تطور العصر، بل هو - فى واقع الأمر - الحصيلة الكاملة لثقافة الشعب على اختلاف أجياله وبيئاته.

وتقع عينا الطفل - منذ نعومة أظافره - على الثراء الفنى للتشكيل الشعبى فى المجسمات (عرائس الحلوى، والفارس، والحصان، والجمل)، وفى اللوحات الحائطية التى تمتزج بها الكتابات مع الأشكال فى إخراج فطرى جميل، وفى الملابس والقلائد، والقلل، .... الخ .

" فهذه الملامح الفنية - وان كانت تترجم عن الآحاد العاديين - إلا إنها نابعة من وجدان جمعى من خلال إطار قومى تبدو فيه خصائص الجماعة بثقافتها المتراكمة عبر الأزمنة البعيدة"(١) . وعلى فنانينا أن يطوروا أعمالهم من خلال القيم الفنية لهذا التراث العريق .

خصائص رسوم الأطفال :

يجب أن تتجه رسوم كتب الأطفال الى تقليد الصفات الفنية لرسوم الأطفال أنفسهم، فتهتم بالخيال، وتتسم بالمبالغة والإضافة والحذف، والجنوح إلى التحريف، حتى يصعب على الرائى التمييز بين هذه الأساليب، وتعبير الطفل الفنى ذاته" كأن الفنان الذى تخصص فى رسم كتب الأطفال قد أحس بقيمة رسوم الطفل الابتكارية الى الدرجة التى جعلته يتجه فى تعبيره لتأكيد نفس المظاهر الشكلية لهذه الرسوم، وهو بذلك يعطينا اعترافا عمليا بأن رسوم كتب الأطفال لابد أن تتناسب مع طبيعة فنونهم"(٢) .

---

(١) سعيد المسيرى : المرجع السابق ص٤٧٧ .

(٢) د/ مجدى فريد عدوى : "الأطفال يصورون قصصهم" - الندوة الدولية لكتاب الطفل ص٢٦٧ .

"ونحن نشكو من نـدرة الفنـانين ذوى المقـدرة الحقيقيـة الخلاقـة ممـن يستطيعون إثراء كتب الأطفال بالرسوم التى تتفق مـع خصـائص الأطفـال فى مختلف مراحل النمو"(١) .

وان رسوما جميلة لفنانين كثيرين أمثال : محمد قطب، ومحمود القاضى، وجلال عمران، وآمال خطاب، ويحيى عبده، وهدى عبد الفتاح، وغيرهم.

هذه الرسـوم - رغـم جمالهـا - لا تصلـح لأن تقدم للأطفـال بـل إنهـا تحبط من قدراتهم التعبيرية، لأن الطفل يحس بأنـه فـى منافسـة مـع هـذه الرسوم، وربما يلجأ الى تقليدها فلا يستطيع، فيشعر بـالعجز، ممـا يحبـط من تعبيره الفنى، ويعمق إحساسه بالفشل وعزوفه عن الرسم والتلوين .

---

(١) د/ مجدى فريد عدوى : "الأطفـال يصـورون أنفسـهم" - النـدوة الدولية لكتاب الطفل ص٢٦٧ .

(٢) أحمد نجيب : "اتجاهات معاصرة فى أدب الأطفال " ص٦١ .

الفصل السادس

محددات استلهام التراث فى أدب الأطفال

مع تسليمنا بضرورة استلهام تراثنا القومى عند اختيار مادة الأعمال الأدبية للطفل، فانه يتحتم علينا أن نراعى مجموعة من الأعتبارات أهمها :

١- يجب أن نفهم أن التراث - فى مجمله - هو حصيلة عهود ازدهار، وعهود انكسار، وقد نتج عن ذلك أن احتشد التراث بقيم متفاوته فى إيجابياتها وسلبياتها "وهذا يحتم الأختيار فيما ننقله من التراث بإخضاع المادة التراثية لعملية فرز علمى دقيق وفقا لمتطلبات التربية السليمة واستبعاد القيم التى تسئ الى عقل الطفل ووجدانه وأن يبرز كل ما هو إنساني وخلاق لتعميق النبيلة والإيجابية فى نفس الطفل"(١) .

٢- القيام بدور إيجابي فى مواجهة المجلات والكتب التى تملأ الأسواق ويتداولها أطفالنا وهى تتعارض فى مضمونها وقيمها مع مبادئ مجتمعنا بما يسوده من أفكار واتجاهات من أجل إعادة صياغة الأبناء وتثقيفهم ثقافة إسلامية عربية أصيلة .

---

(١) فاطمة المعدول : "نحو مسرح عربى للطفل" الحلقة الدراسية حول مسرح الطفل ١٧ -٢٠ ديسمبر ١٩٧٧ - هيئة الكتاب - ١٩٨٦م .

٣- كشف الأفكار والقيم الخاطئة التى أصبحت سائدة بين الأطفال، وتقديم بديلها الصحيح، وترسيخ المفاهيم والقيم والأفكار التى تتفق مع روح مجتمعنا ومبادئه حتى نتمكن من بناء أجيال ذات عقول واعية وإرادة قوية .

٤- "الاهتمام بتاريخ الأمة العربية وحاضرها ومستقبلها، والتعرض لأمثلة تعكس حياة الأمة العربية بأبطالها وأحداثها وظروفها وتطلعاتها"(١) .

٥ - المساهمة فى خلق أدب قومى للأطفال العرب، وبعث الطابع العربى الأصيل من أجل إحداث التماسك بين أفراد المجتمع العربى كله، كهدف تربوي ينبثق من الأهداف القومية .

٦- التعبير عن الواقع الحقيقى للطفل، وربطه بمظاهر الحياة اليومية الموجودة فى بيئته، حتى يتمكن الطفل من تفهم المجتمع المحيط به والذى يعايشه، ويتمكن من الاندماج فيه . ويساعده ذلك - مستقبلا - على فهم وحل مشكلات مجتمعه .

٧- يجب أن تعالج المادة التراثية بمنطق الطفل، وليس بمنطق الكبار .

وعلى الكاتب أن يختار جوانب العالم الطفولى فى التراث والبعد عن إثقال الأطفال بهموم الكبار تحت دعاوى توعية الأطفال .

---

(١) أحمد نجيب : "المضمون فى كتب الأطفال" ص٨١ .

٨- "يمكن استخدام التراث كوسيلة من وسائل تقديم المعرفة العامة والسلوكية للطفل، وذلك بأن تكون القصة وعاء توصيل قيم حديثة ومعلومات تتمشى مع العصر الذى نعيشه"(١) .

٩- علينا أن نحرص على تقديم الأعمال -الأدبية المستوحاة من التراث فى قالب غنى بالإمتاع والتشويق والبهجة الكفيلة بشد انتباه الطفل وامتاعة .

١٠- وفى النهاية.. فان كل هذه العناصر يجب أن تقدم فى أسلوب سلس ولغة بسيطة يفهمها الطفل، ويتجاوب معها .

****

(١) فاطمة المعدول : مرجع سابق .

الخاتمة

نتائج البحث

فى ضوء الحقائق التى تم عرضها فى هذه الدراسة يمكن أن نستخلص العديد من النتائج، ولعل أهم هذه النتائج هى :

١- غياب المشروع الثقافى أو المفهوم العام الذى يحدد اتجاهات أدب الأطفال فى الوطن العربى .

٢- تجاهل احتياجات الطفل الحقيقية، وسيادة اتجاهات الإلهاء والتسلية التشويشية الاستهلاكية .

٣- الاتجاهات السائدة فى سوق النشر التجارى فى الغرب هى المرجع والمقياس للكثيرين ممن يكتبون للأطفال .

٤- قلة عدد الكتاب والفنانين المحليين المبدعين فى مجال أدب الطفل وفنونه .

٥- "غياب البيئة المحلية والسمات البصرية الخاصة بالواقع المحلى عن رسوم كتب ومجلات الأطفال"(١) .

---

(١) محمد الهادى التركى : "التربية الفنية وآثرها فى تكوين الطفل العربى" - ندرة نحو مستقبل أفضل للطفل العربى- القاهرة ٢٩ اكتوبر : ١ نوفمبر ١٩٨٨ م .

٦- ندرة النصوص الإبداعية العربية المقدمة للأطفال .

٧- عدم إدراك أولياء الأمور وأمناء المكتبات الأهمية القصوى لكتب الأطفال، وأهمية انتقاء الكتاب المناسب للطفل .

خطوة على الطريق الطويل :

بالرغم مما تقدم فإننا نود أن نود أن نوضح أن صورة أدب الأطفال فى الوطن العربى ليست قاتمة تماما .

فبالرغم من أن الاهتمام بكتاب الطفل فى الوطن العربى لم يتم إلا فى أواخر القرن الماضى على يد رفاعة الطهطاوى ومحمد عثمان جلال، ومن تلاهما، حتى ظهر كامل كيلانى بكتاباته التى تعتبر نواة أدب الأطفال العربى، وبالرغم من أن الكتابة للطفل بدأت - ومازالت - تعتمد فى كثير من الأحيان على الترجمة والاقتباس .

بالرغم من ذلك كله، فإن العين لا تخطئ مجموعة من الكتاب المخلصين، يقفون فى وجه الهجمة الثقافية الاستعمارية ويدافعون عن هويتنا وتراثنا، ويحاولون إرساء قواعد أدب قومى للطفل .

ومازالت ابداعاتهم التي تعبر عن جهودهم المخلصة تتوالى نذكر من هؤلاء :

١- عبد التواب يوسف : سلسلة أركان الإسلام - حياة محمد - أوائل الإسلام - مجموعة قصص عربية (دار الشعب)، سلسلة محمد خير البشر - العبادات في الإسلام - (دار الكتاب المصري اللبناني) .

٢- أحمد نجيب : دائرة معارف مصر أم الدنيا (الهيئة العامة للاستعلامات) - حكايات كليلة ودمنة - مغامرات الشاطر حسن (دار النهضة المصرية) - السيرة النبوية للأطفال (م. أخبار اليوم) .

٣- أحمد بهجت : سلسلة قصص الأنبياء - قصص القرآن - قصص الحيوان في القرآن (دار الشروق) .

٤- محمد أحمد برانق : سلسلة سيرة الرسول - أمهات المؤمنين - قصص الأنبياء - القصص الدينية للأطفال (دار المعارف) .

٥- راجي عنايت : سلسلة مغامرات ابن بطوطة - علماء العرب (المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت) .

٦- محمود سالم : سلسلة حكايات عربية - أبطال الإسلام .

٧- سليمان فياض : سلسلة علماء العرب (دار المعارف) .

٨- محمود عوض : سلسلة روائع العرب (دار المعارف) .

٩- سيد محمد إبراهيم : سلسلة الدول العربية المبسطة (دار الفكر العربي) .

١٠- مجلة الوفاق : سلسلة حكايات عربية وإسلامية .

وشعر الأطفال لم يكن وليد بحث [illegible] أنها من كتابة الشعراء الكبار وشعراء متخصصين أمثال :

إبراهيم شعراوي – أحمد السوسي – سمير عبد الباقي – أحمد سويلم – أحمد زرزور – محمد كشيك .

أما في مجال رسوم كتب الأطفال، فهناك مجموعة من طليعة الفنانين المصريين، لديهم الوعي الكافي والخبرة الطويلة بطبيعة رسوم كتب الأطفال وخصائصها، نذكر من هؤلاء :

محيي الدين اللباد – حلمي التوني – بهجت عثمان – [illegible] – إيهاب شاكر – أحمد حجازي – [illegible] * – [illegible] – [illegible] – [illegible] .

---

* لاحظ الباحث لجوء الفنانة [illegible] في بعض أعمالها إلى إدخال "الكولاج" في رسوم الأطفال بصورة [illegible] التي لا تتناسب مع خصائص رسوم الأطفال .

المطلوب

١- ضرورة التعاون والتنسيق بين كافة الأجهزة العاملة فى مجال الطفولة للوصول الى سياسة عامة واضحة المعالم يتم إعدادها فى ضوء بحوث ودراسات علمية تبحث الواقع الثقافى لأطفالنا بشكل موسع .

٢- تأكيد التعاون بين المهتمين بثقافة الطفل بوجه عام، والمهتمين بالكتابة للأطفال بوجه خاص، وعقد والندوات والمؤتمرات التى تكفل شرح ومناقشة السياسة العامة لأدب الطفل فى المرحلة القادمة .

٣- دراسة المطروح من كتب ومجلات الأطفال، ونبذ الغير صالح منها وتحديد أوجه النقص حتى يمكن استكمالها .

٤- التصدى لكتب ومجلات الأطفال الأجنبية والمحلية الضارة والدعوة لخفض اعتماد النشر للطبعات العربية للكتب والمجلات الأجنبية .

٥- ضرورة استلهام تراثنا الإسلامي فى أعمال أدبية تعمق فى أطفالنا العقيدة الإسلامية، وتربطهم بتاريخهم ومجتمعهم وأوطانهم .

٦- التأكيد على هويتنا الثقافية وذلك بالاهتمام بتراثنا، وتقديمه للأطفال فى ثوب إبداعي عصرى .

٧- فهم طبيعة العصر وعوامل تطوره، ودور الأفراد فى صنعه، وتنمية وعى الأطفال، وحمايتهم من آثار الدعاية التى تحاول أحيانا إخضاع الشعوب لمصالح خاصة .

٨- تبصير كتاب الأطفال بالاتجاهات التربوية الحديثة من جهة وبأهداف المجتمع وفلسفته من جهة أخرى حتى لا يقدمون مفاهيم خاطئة تتعارض مع أسس التربية الحديثة أو مع قيم المجتمع وأهدافه .

٩- الاهتمام بالشعر فى كتب الأطفال وإعطاؤه وزنا يتفق مع أهميته وتوجيه الدعوة للشعراء والمبدعين للمساهمة فى الكتابة للأطفال .

١٠- تنقية التراث الشعبى من الاتجاهات السلبية وتقديم المناسب منه للأطفال فى صورة مشوقة ومبسطة .

١١- إنشاء مكتبة تسجيلية مصورة لمظاهر البيئة وأخرى تضم أرشيفا لتراثنا القومى على مر العصور .

١٢- الدعوة الى تطوير طرق تدريس الفنون فى الكليات الفنية وإعادة النظر فى المناهج والاتجاهات الغربية السائدة فى هذه الكليات منذ تأسيسها على أيدى أساتذة أجانب .

١٣- اكتشاف وتشجيع التجارب الجديدة فى رسم كتب الأطفال من الفنانين التشكيليين .

١٤- إقامة الندوات والدورات اللازمة لتنمية الوعى بخصائص رسوم كتب الأطفال، والدعوة الى إبراز البيئة المحلية والقيم التراثية فى رسوم كتب الأطفال .

١٥- العمل على إيجاد مكتبة ثقافية عربية إضافية للطفل عن طريق النشر المشترك الذى تدعمه المؤسسات القومية كمنظمة الثقافة العربية، وجامعة الدول العربية .

١٦- توعية المدرسين وأمناء المكتبات وأولياء الأمور بأهمية انتقاء الكتاب المناسب للطفل .



